

بين الحجاز والشام

من يوم الخميس ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٨٣ هـ حتى الأحد ١٩ محرم سنة ١٣٨٤ هـ
الموافق ٩ أبريل سنة ١٩٦٤ م حتى ٣١ مايو سنة ١٩٦٤ م

غادر فضيلة العارف بالله سيدى محمد الحافظ التجانى فى حفظ الله ورعايته القاهرة فى صباح يوم الخميس المبارك ٢٦ من ذى القعدة سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ٩ أبريل سنة ١٩٦٤ م إلى الأراضى المقدسة لحج بيت الله الحرام وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى روضته الشريفة بمسجده المبارك بالمدينة بالمنورة ، رافقته السلامة ونفع الله به الإسلام والمسلمين أينما حل وحينما ارتحل .

وهو رضى الله عنه كثير الرحلة والسياحة على ما فيها من متاعب ومشاق ، فقد رحل إلى الحجاز مراراً عديدة ، ومنذ سنة ١٣٤٦ هـ الموافق سنة ١٩٢٨ م وهو يوالى الحج والزيارة كل أربع سنوات ، وتارة كل ثلاث سنوات ، وتارة كل سنتين ، وكثيراً ما كان يحج سنوياً . كما رحل إلى السودان وطاف بأرجائه أكثر من خمس مرات ، ورحل قبل ذلك إلى تونس والجزائر ومراكش ، وزار المسجد الأقصى بفلسطين مراراً .

كل ذلك فى سبيل الله تعالى وفى سبيل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام مجاهداً صابراً محتسباً ، ولازالت آماله معلقة بالرحلة إلى غرب أفريقيا ليزور الأقطار الإسلامية هناك ، السنغال ونيجيريا وتشاد ومالى وغينيا وغيرها ، فإن له معرفة تامة بعلمائهم وأمرائهم من أتباع الطريقة التجانية وغيرها ، وهم يودون من صميم قلوبهم تشريفه فإنهم جميعاً يعترفون بفضله ويعترفون من منهلته .

كما أن له أمالاً فى زيارة أرجاء كثيرة من العالم الإسلامى ، حقق الله أمانيه ونشر الإسلام على يديه .

وقد كانت قلوب كثيرة من أتباعه ومريديه بمصر تود لو كتب لها السفر للحج فى معيته رضى الله عنه هذا العام ، ولكن حال دون ذلك قوانين الحج وضيق الوقت ، ونرجو الله تعالى أن يفتح باب الحج على مصراعيه لكل راغب فى الأعوام القادمة ، ويسر ذلك لكل محب فى الحج وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد عاد فضيلته إلى القاهرة ظهر يوم الأحد ١٩ محرم ١٣٨٤ هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٦٤ م بعد الحج والتشرف بزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم زيارة بيت المقدس ، وكان فى معيته رضى الله عنه السادة التجانيون الأفاضل من أهل السودان مولانا الشريف الحاج محمد طه شيخ السادة التجانيين بالأبيض وحبيبه وموضع سره الحاج محمد رحمة الله الهندى ، والحاج محمد حماد النور ، والحاج مصطفى موسى زين العابدين من علماء السودان من أم درمان ، وصهره الحاج عدوى نديم وزوجته وابنه الحاج محمد الحافظ .

وقد كانوا جميعاً فى صحبة فضيلته بالمدينة المنورة ، وسافروا جميعاً منها إلى بيروت فبيت المقدس ثم حضروا إلى القاهرة .

وقد أقيم حفل فى الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة بمناسبة عودة فضيلته ألقى فيه بعض الكلمات من بعض السادة التجانية .

ثم غادر إخواننا أهل السودان القاهرة مساء يوم السبت ٢٥ محرم ١٣٨٤ هـ الموافق ٦ يونيه ١٩٦٤ م إلى الخرطوم ، رافقتهم السلامة فى حلهم وترحالهم .

وفيما يلى نص كلمة مولانا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه والتي ألقاها فى الحفل الذى أقيم بمناسبة عودة فضيلته من السفر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد حمداً دائماً مترادفاً متواتراً لا بداية له ولا غاية ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، أسأل الله عز وجل الذى أظهر الجميل وستر القبيح أن يجزيكم عن أنفسكم وعنا خير الجزاء ، وحسن الظن ربح ، ولا تلامون على هذا .

وقد قال سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه - وقد طاف بالآفاق ، واجتمع بشيوخ الطريق فى زمنه ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، وكان مختلياً فى صحراء الجزائر فى جهة يقال لها أبو سمغون ، وكان مشتغلاً ببعض صيغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، واجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم اجتماعاً روحياً فى حال اليقظة بعد أن اجتمع به فى حال النوم ، وهذا شئ ينكره كثير من الناس ، ولكن لا حجة لهم فى إنكاره ، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء فى بيت المقدس وصلى بهم ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وليس هذا من خصائص النبوة ، والأمور الممكنة التى تحيط بها القدرة الإلهية لا يصح فى العقل أن ينكر الإنسان وقوعها ، لأننا إذا سألنا عالماً محققاً : هل فى نطاق القدرة الإلهية أن يرى الله تبارك وتعالى أحداً من أهل الدنيا نبياً من الأنبياء فى الدار الآخرة ؟ لا يسعه إلا أن يقول : إن ذلك من الممكنات ، وإذا كان كذلك ، لا يصح للعقل أن ينكر وقوعه ، ولكن يقول : لا أعلم ، وعدم المعرفة ليس دليلاً على عدم الوقوع ، فإن من رأى حجة على من لم ير ، فبعد أن اشتغل بالعبادة والذكر صياماً وقياماً وعكوفاً على باب الحق تعالى ، وحصل له ذلك الاجتماع ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل لتربية الخلق - قال : " يا رسول الله إنى قد اطمأننت إلى الاشتغال بالله وبنفسى ، فإذا كنت فى تربيتى كسائر الأشياخ الذين يرشدون الخلق ، ففيهم الكفاية ، وإما إن كنت باباً لنجاة كل عاص تعلق بى ، فإنى أنزل إلى الخلق ، لأن التوبة هى أعظم شئ فى حياة الإنسان " .

يقول تبارك وتعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)^(١) فإذا منَّ الله عز وجل بالتوبة النصوح الصادقة على عبد من عباده فهذه هي ليلة قدره ، وهذه التوبة النصوح الصادقة سلام هي حتى مطلع الفجر ، بل هي سلام دائم فى حياته فى الدنيا والآخرة .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك " ، وقد جربنا هذا ، ليس من الضروري أن يكون الإنسان آخذاً ورد الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه حتى يصل إلى مقام التوبة ، فقد يصل بالمحبة ، يكون محباً ، فيعرف مقام الشيخ ويحبه مجرد محبة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) ، وينتهى أمره إلى التوبة . وقد يأخذ صيغة من الصيغ تكون وصلة بينه وبين الشيخ رضى الله عنه .

فبعد أن طوف الآفاق وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول ، وقد قرأت كتب الطريق ، رجوت من الله عز وجل أن يصلنا بهذا الشيخ ، وأن يحققنا بمقام التوبة ، وأن ينشلنا من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب .

فنحمد الله تبارك وتعالى أن جعلنا عالة على شيخنا رضى الله عنه ، ثم أظهر الجميل وستر القبيح .

وإذا قلت لا فضل لنا ، فكل الناس لا فضل لها فضلاً ذاتياً ، وإنما الفضل لله تبارك وتعالى ، وإنما ما سافرنا وجلنا فى البلاد إلا بقصد الانتفاع بساداتنا أصحاب الشيخ أحياء وأمواتاً فى الوصول إلى هذا المقام ، مقام التوبة الصادقة النصوح ، فنسأل الله عز وجل أن يوصلنا إلى هذا المقام ، وما رأينا إلا أئمة فضلاء ، وطريق الشيخ رضى الله عنه - بفضل الله - كأن الله عز وجل يختار لها القلوب الصافية ، فإذا دخلت بلداً فإنما يختار لها المختارون من أهل هذا البلد .

١ - سورة القدر ، الآيات ١ - ٥ .

وفى هذه السنة المباركة نحمد الله عز وجل أن اجتمعنا بأحبابنا من سائر الأقطار ، وتوثقت الصلة بينا .

وقد اقترح بعض إخواننا أن يعقد مؤتمر تجانى عالمى ، هذا المؤتمر يعمل على نشر الوعى الروحى ، لماذا ؟ لأن الماديين لهم نشاط ولهم دعاية ولهم إمكانيات ، ولكننا لنا إمكانيات أكثر من إمكانياتهم بكثير ، لماذا ؟ لأنهم ينقطعون عن الله ، ونحن بفضل الله تبارك وتعالى لا سند لنا إلا الله ، إننا سنحارب المادة بأمرين : الفقر ، وبجب الموت .

ما الذى يجعل الناس تتنازع على المال والشهوات والحياة والأبهة الكاذبة والصولة والدولة ، ونحن والله الحمد والشكر لا غرض لنا فى الصولة والدولة والأبهة ، نحب الموت لأن الأمل الطويل هو الذى يجعل الإنسان حريصاً على الدنيا .

طول الأمل ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل لأصحابه ، فخط خطأ طويلاً وخط خطأ مربعاً ، هذا الخط الطويل خارج من الخط المربع ، وخط على جانبى هذا الخط خطوطاً عن يمينه ويساره ثم ضرب مثلاً وقال : ((هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِى هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصَّغَارُ الْأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا)) حتى يدركه الموت ولا يزال أمله باقياً .

اقترح بعض إخواننا أن يكون هناك قوم يجولون فى الأقطار يمهدون لهذا المؤتمر العالمى التجانى ، وفائدة المؤتمر أن كل قوم فى بلد عليهم واجبان : الأول الدعوة إلى الإسلام ، إلى التمسك بالشرع ، سواء أخذت الطريق أو لم تؤخذ .

الوجه الآخر من كان فيه الاستعداد لطريق من طرق أهل الله فليأخذها من غير تعصب فإن الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه قال : " السائق الإلهى يسوق إناساً إلى هذه الحضرة والصارف الإلهى يصرف أقواماً عنها ، فالذين كتب لهم فى الغيب أن يكونوا من أهل هذه

الخاصة فسيكونون فيها ، والذين أراد الله أن يكون لهم مشرب آخر أو وجهة أخرى
فسينصرفون إلى هذه الوجهة ، وكل الطرق خير وهدى " .

ومثل الطرق كشجرة تفرع منها فروع والكل راجع إلى أصل الشجرة ، والكل ينبع من أصل
واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبداية السير إلى الله التوبة ، ثم يترقى حتى يصل إلى مقام المكاشفة ، ثم المعرفة المؤسسة على
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلم الخلق بكتاب الله وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم أهل الطريق ، فالذين نقلوا القرآن إلينا هم أهل الطريق ، والذين
نقلوا الحديث إلينا هم أهل الطريق ، كذلك الفقه وأصول الفقه واللغة الذين نقلوها إلينا هم
أهل الطريق ، ما من أحد درس العلم إلا درسه في كتب أهل الطريق ، فإن كان شافعياً الكتب
كلها من أهل الطريق ، الغزالي ، الباجوري وغيرهم من أهل الطريق ، وإن كان مالكياً ،
الدرديري ، خليل ، الخطاب ، الزرقاني كلهم من أهل الطريق ، وكتب الأحناف كذلك ، ابن
عابدين من أهل الطريق ، ومذهب الإمام أحمد كذلك .

فحقيقة السير إلى الله : لا يمكن أن يصل عبد إلى الله إلا بشرع الله .

أما ما يقال : إن أهل الطريق فيهم منحرفون ، فلا ضرر في هذا عليهم ، فهل إذا انتسب إلى
الطب رجل جاهل بالطب فهل يضر الأطباء ذلك ؟ .

الميزان الكتاب والسنة ، فمن اتبعها فهو من أهل الطريق ، ومن خالفها فقد خالف الطريق .
وقد صحبتنا في الحج سيدنا الشيخ الشريف محمد طه التجاني شيخ زاوية الأبيض بالسودان ،
وبيته مأوى للغرباء ، وبيته زاوية أيضاً ، مع الجد في الطريق ، وهو مثل لخليفة الشيخ سيدي
أحمد التجاني رضى الله عنه الذى قام على ساق الجد والصدق ، والشيخ محمد رحمة الله الهندي
من مستشاريه ومحبيه الأقربين الذين يؤيدونه في المشاريع الخيرية .

والأخ الشيخ مصطفى موسى زين العابدين وأنتم تعرفونه ، وحسبه أنه عبد متوله فى الله ،
ووالده جاء إلى القطر المصرى مراراً ، وكان دائم الحج ، واشترى الزاوية بأمر درمان على نفقته
الخاصة ، وكان رحمه الله من أهل الخصوصية فى الطريق .

والأخ الشيخ عدوى نديم والسيدة الفاضلة زوجته وابنه الحاج محمد الحافظ ، وهو صهر
الشيخ مصطفى ، ووالده مقدم الطريقة بالدويم جهة البحر الأبيض ، وهو بار بأبيه وبأهله ،
والحمد لله هو من أهل الطريق الذين من الله عليهم بالصدق والإخلاص .

والأخ الشيخ أحمد حماد النور طالما أكرمه الله ، وهو من النهود .
ولقد سافرنا إلى بيت المقدس بفضل الله تبارك وتعالى ، وما كان هذا ليخطر لنا على بال ،
فإن جواز السفر الذى بيدى جواز سفر للحج فقط وهو لا يصلح للانتقال إلى بلد آخر ، وظننا
أننا إذا سافرنا إلى فلسطين سنجد صعوبة فلم نجد صعوبة ، وجزى الله إخواننا أهل السودان
الذين كنا فى رفقتهم خير الجزاء لأنهم هم الذين سهلوا لنا زيارة بيت المقدس ، صحبهم الله
فى غدواتهم وروحاتهم ، وبارك لهم فى أهلهم وأموالهم .

وقد قمنا فى هذه الرفقة الميمونة من المدينة المنورة إلى بيروت بالطائرة ، واجتمعنا بإخواننا
هناك الحاج خالد المناصفى شيخ الزاوية التجانية ببيروت ويبلغ سنه ٨٥ عاماً أو قريباً من
التسعين ، ولا يزال فى قوته ويخدم بنفسه أطال الله حياته ، والدكتور الصيدلى الحاج عمر رشيد
البواب ، وفضيلة الشيخ محمد هاشم الشريف قاضى محكمة صيدا الشرعية ، والحاج محمد
حبيب القوزى ، والحاج محمد مقموق ، والأستاذ يحيى توفيق الهبرى من أعيان لبنان ، وفضيلة
الشيخ محمد الداغوق قاضى بيروت ، والسيد محمد الحافى ، والسيد يحيى خالد تلميذ الشيخ
محمد العربى العزوزى أمين الفتوى السابق ، والسيد محمد رفيق الفاخورى ، والشيخ مصطفى
عز الدين من الأعيان ، والسيد محمود البواب ، والسيد محمد خالد ، وكثير غيرهم ، وتذاكرنا
معهم فى كثير من المسائل العلمية ، وجزاهم الله خيراً على حسن وفادتهم ، ثم زرنا المرحوم

الشيخ حسين محمد طه مقدم الطريقة التجانية بجيفا ردها الله إلى حوزة العرب ، وقد مكثنا فى بيروت بضعة أيام .

ثم سافرنا إلى بيت المقدس واجتمعنا هناك بالسيد أحمد الدادسى شيخ الطريقة التجانية فى شرق الأردن وفى فلسطين ، وهذا الرجل رجل فاضل قرأ القرآن ودرس العلم ، وجاء من المغرب حاجاً ثم سافر إلى فلسطين ، وكلما أراد أن يرجع للمغرب حبسته أمور عن الرجوع ، وصار له فى الطريق أربعين عاماً .

كما اجتمعنا بالشيخ محمد المهدي ، وهو إمام الحرم ، مكث إماماً للحرم موالياً للصلوات الخمس ٣٠ سنة ، ومنذ ستين أصيب بمرض ، وهو الآن يقوم بالتدريس فى المسجد الأقصى موالياً للصلوات الخمس فى المسجد ، وهو رجل كبير ومريض وتقرب منه من تسعين سنة .

وقد زرنا سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وأبناءه إسحاق ويعقوب ويوسف ، كما زرنا نبي الله يونس ونبي الله موسى عليهم السلام ، وزرنا أريحا فى ضيافة السيد أحمد الدادسى وبعض إخواننا ، وكثير من إخواننا كلهم بدور وأقمار .

وقد اختصرنا السفر ، وكان من الممكن أن نساغر إلى بلاد أخرى ولكن الحالة التى بيننا وبين سوريا والخلافت منعتنا من تكملة الرحلة .

وإننا نلاحظ بيننا أن كثيراً من الأحباب يموتون وأولادهم لم يعتنقوا طريق الشيخ ، فالذى نحض عليه إخواننا أن يجتهدوا فى أن يسبغوا أبناءهم بهذه النعمة الكبرى حتى لا يطفأ هذا النور المبارك من بيوتهم .

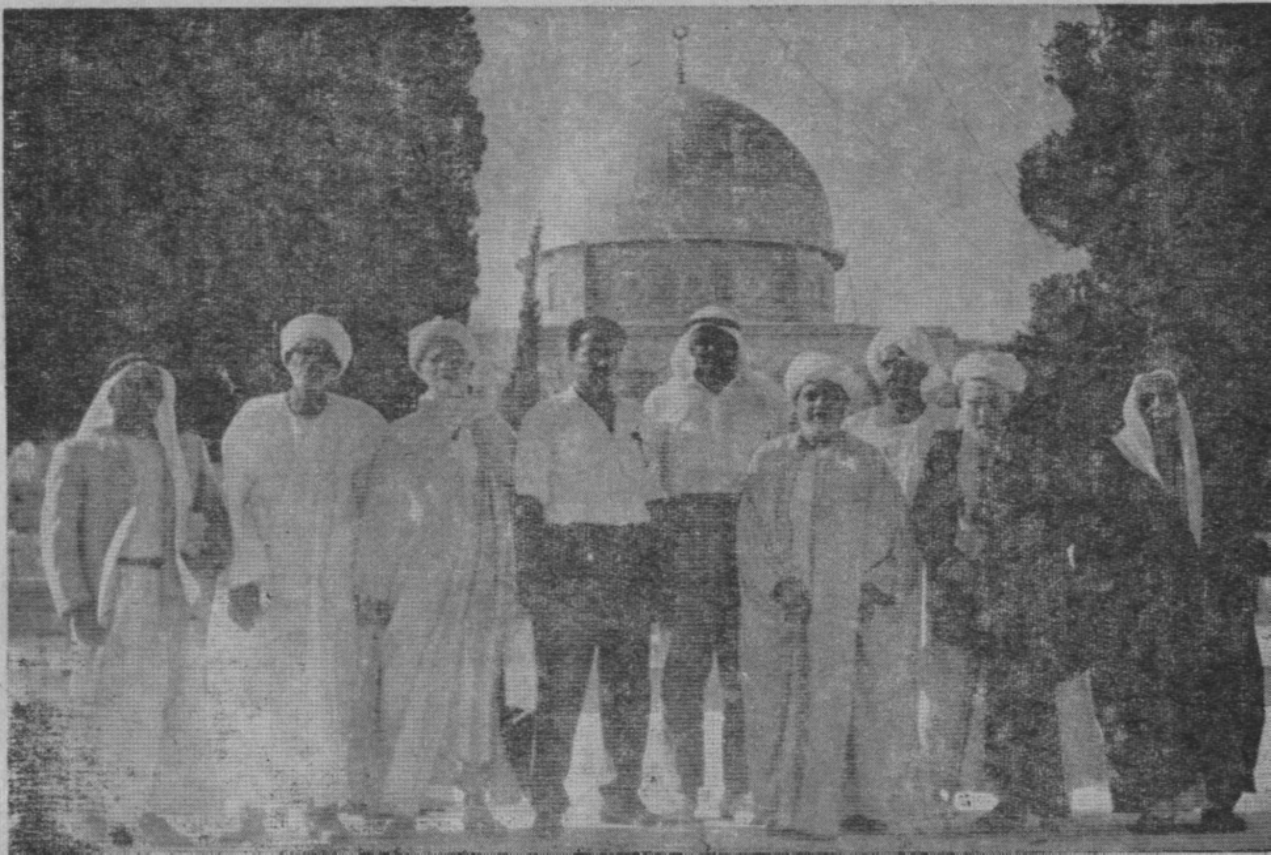
الرباط الذى يربط بيننا هو حب الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، وحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا الرباط يقتضى منا التسامح فيما بيننا والعفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان ، صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك .

ونرجو الله أن ييسر لنا زيارة شيخنا رضى الله عنه ، وسيكون إن شاء الله وفداً تجانياً يفتد إلى سيدى إبراهيم الرياحى بتونس ، ثم إلى تماسين لزيارة سيدى الحاج على التماسينى ، ثم إلى العلية لزيارة آل سيدى العلمى وسيدى عبد المالك رحمه الله ، ثم قسنطينة ، ثم إلى دار الشيخ فى عين ماضى ، وأبى سمغون التى فُتِحَ على الشيخ فيها ، ثم إلى فاس ومراكش وما شاء الله . ونزور إن شاء الله تعالى أكابر أهل الطريق الذين ذكرهم سيدى أحمد سكيرج فى كشف الحجاب ، ونسأل الله أن ييسر لنا هذا .

كما نسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لنا ولكم ، ويأخذ بيدنا ويدكم ، ويثبت أقدامنا فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٢) وبلغوا سلامنا إلى إخواننا ، ونحن قد نبنا عنكم فى جميع المواطن ، والسلام .

محمد الحافظ التجانى

٢ - سورة آل عمران ، الآية ٣١ .



من اليمين السيد أحمد الدادسى شيخ الطريقة التجانية فى شرق الأردن وفلسطين - الشيخ محمد
المهدى إمام الحرم الإبراهيمى - الحاج أحمد حماد النور من النهود بالسودان - سيدى الشيخ محمد
الحافظ التجانى - الحاج إبراهيم حسن أبو حمالة - إبراهيم الحسن - الشريف الحاج محمد طه
التجانى شيخ الزاوية التجانية بالأبيض بالسودان - الحاج محمد رحمة الله الهندى من السودان -
الشيخ عبد الله الحسن .



الأسماء من اليمين

الوقوف بالصف الخلفى : الحاج محمد الحافظ عدوى نديم من السودان - عبد الكريم بن محمد مقموق .
الجلوس بالصف الخلفى : السيد محمد الحافى - السيد يحيى خالد - السيد محمود البواب صهر الحاج عمر رشيد وابن عمه - الحاج محمد رحمة الله الهندي من السودان - الحاج أحمد حماد النور من النهود بالسودان -
الحاج عدوى إبراهيم نديم من تجار أم درمان بالسودان - السيد محمد خالد الموظف بالمحكمة .
الصف الأوسط : فضيلة الشيخ مصطفى اليافى بالمحكمة الشرعية - فضيلة الشيخ محمد الداعوق قاضى بيروت - سيدى الشيخ محمد الحافظ التجانى - فضيلة الشيخ محمد هاشم الشريف قاضى محكمة صيدا الشرعية - الشريف الحاج محمد طه التجانى شيخ الزاوية التجانية بالأبيض بالسودان - الدكتور الصيدلى الحاج عمر رشيد البواب التجانى صاحب صيدلية الهلال ببيروت .
الصف الأمامى : السيد خالد عمر البواب - أخوه رشيد - السيد محمد رفيق الفاخورى ولد خالة الحاج عمر البواب وصهره - مولانا الخليفة الحاج خالد المناصفى شيخ الزاوية التجانية ببيروت - الحاج محمد مقموق -
الشيخ مصطفى عز الدين من الأحباب وهو مشغول بالتصوف وكتب الصوفية .



من اليمين : السيد محمد رفيق الفاخوري - سيدى الشيخ محمد الحافظ التجانى - الدكتور
الصيدلى الحاج عمر رشيد البواب - الشريف الحاج محمد طه التجانى شيخ الزاوية التجانية
بالأبيض بالسودان - مولانا الخليفة الحاج خالد المناصفى شيخ الزاوية التجانية بيروت .